المحاضرة الخامسة: رواد واتجاهات علم اجتماع المعرفة

1_علم الاجتماع المعرفة عند كارل ماركس (1818-1883)

طرحت النظرية الماركسية في منتصف القرن التاسع عشر، وطبقت علميا في القرن العشرين، تحديدا عام 1917م، أي مع قيام الثورة البلشفية ضد النظام القيصري الروسي، وتشكل الاتحاد السوفيتي، وبقي معمولا بها حتى انهيار الاتحاد السوفيتي أواخر ثمانينات ومطلع تسعينات القرن الماضي، إلا أن التراث الماركسي لازال موجودا، ولا زالت دول تتبناه إلى الأن كالصين.

تولدت أفكار "ماركس" نتيجة تأثره بفلسفة "هيجل" التي طورت عن طريق "فيورباخ" لا سيما في مسائل (الوعي، والطبقة الاجتماعية، والاغتراب، وروح المجتمع، والبناء الفوقي والتحتي، والديالكتيك).

أكد "ماركس" على العلاقة بين شكل المعرفة ونمط المجتمع، وضرورة تحليل العلاقة بينهم، حيث اعتبر أن البناء الطبقي هو الذي يحدد طبيعة البناء الفكري لكل مرحلة تاريخية، كما اعتبر (الدين، والسياسة، والقانون) أشكالا أيديولوجية تعكس قيما اجتماعية معينة.

قسم "ماركس" البناء الاجتماعي الى بنائين:

_ البناء الفوقي: يشمل التشريعات والنظم والقوانين والدين والفن ...الخ.

_ البناء التحتي: يتكون من قوى وعلاقات ونمط الإنتاج أي البناء الاقتصادي.

وقد اعتبر "ماركس" مفهوم الطبقة الاجتماعية هو جوهر البناء الاجتماعي، فقسم المجتمع لطبقتين رئيسيتين:

_ الأولى البرجوازية (الرأسمالية): وهم قلة يملكون وسائل الانتاج.

_ الطبقة الثانية العمال (البروليتاريا): يمثلون غالبية المجتمع، يعملون كأجراء عند أصحاب راس المال.

وبين أن البرجوازية تستطيع لفترة من الزمن أن تحقق انسجاما مع الحياة الاقتصادية، وتنتج تعريفات لقيم وسلوك تتفق مع مصالحها، إلا أن هذا الوضع لا يستمر طويلا، فسرعان ما تضطرب الأوضاع ويظهر على السطح طبقة اجتماعية جديدة وهي البرولتاريا فتغير ظروف الانتاج، إلا أن الطبقة المسيطرة لا تدرك هذا التغير بسرعة، وتبالغ في الدفاع عن مصالحها لمواجهة الطبقة الجديدة.

إن تناقض البرجوازية بين الفكر والممارسة يشكل "الوعي الزائف" لدى الجماهير، الذي هو نتاج خلل في توازن ثلاث أشياء هي:

_ الذات: مجال الافكار.

_ الموضوع: عالم الأشياء المادية الواقعية.

_ وسائل التقييم التي تتوسط بين الذات والموضوع.

علم اجتماع المعرفة في ميزان الماركسية:

المادية التاريخية تمثل صلب اهتمام علم اجتماع المعرفة، حيث تتميز الظاهرة المعرفية بعمق تاريخي، وما ينطبق على التاريخ ينطبق على المعرفة، بالتالي فالمعرفة تخضع لبعدين (تارخي، ومادي)، هنا يبرز الفتور في العلاقة بين علم اجماع المعرفة والنظرية الماركسية، لأن الماركسية تعتبر المادية التارخية والمادية الجدلية تكفيان لتفسير تطور المعرفة.

ترى الماركسية أنه لا يمكن للباحث في علم اجتماع المعرفة أن يجري بحث ما لم يكن له موقف واضح من المثالية التارخية والمادية التاريخية، فإن أخذ بالمثالية وحدها يقع في فخ الوصف والعموميات، وإن أخذ بالمادية يلتزم بمفهوم الأيديولوجيا، ويحلل الظواهر وفق المادية التاريخية.

2_علم الاجتماع المعرفة عند أوغست كونت (1798-1857)

إن رؤية "كونت" لعلم الاجتماع كانت رؤية علمية وضعية، وكان ينبغي على علم الاجتماع، في اعتقاده، أن يطّبق المنهجيات العلمية الصارمة نفسها في د ارسة المجتمع، هو الحال في الأساليب التي تنهجها الفيزياء وعلم الأحياء في دراسة العالم الطبيعي، وترى المدرسة الوضعية أن على العلم أن يُعنى بالكيانات العيانّية التي يمكن ملاحظتها واختبارها بالتجربة فحسب.

والمجتمع الإنساني هو نسق يتألف من أجزاء متساندة، وهو شيء يفوق الأفراد، ومن ثم يحتاج إلى دراسة خاصة، ذلك أن الأفراد لا يمكن فهمهم إلا في سياق المجتمع الذي يعيشون فيه، وعلم الاجتماع مثله مثل العلوم الأخرى ينقسم إلى قسمين رئيسين هما: الاستاتيكا (الاستقرار) والديناميكا (التطور)، وتهتم الاستاتيكا بدراسة الشروط الضرورية لوجود المجتمع الإنساني، ومن ثم فإن التركيز يكون أساساً على النظام العام، ودراسة النظام العام هي دراسة عوامل التوازن والتناغم والانسجام في بنية المجتمع، تلك العوامل التي تستند أساساً إلى ما أطلق عليه "كونت" مصطلح الاتساق العام، والاتساق العام هو الارتباط الضروري القائم بين عناصر المجتمع ومكوناته الرئيسية، ذلك الارتباط الماثل في عقل الباحث، بحيث يجتهد في العثور على أفضل المناهج والطرق الملائمة لدراسته. وجدير بالذكر أن هذا الاتساق قائم في كافة مجالات الحياة الإنسانية.

يؤكد "كونت" أنه بدراسته التطور الكلي للتاريخ الإنساني في مجالات النشاط المتعددة منذ انطلاقته الأولى الأكثر بساطة حتى الأيام التي عاشها، فقد اعتقد أنه اكتشف قانونا أساسياً، يرتكز على أن كل مفهوم من مفاهيمنا الأساسية، وكل فرع من معارفنا، يمر بالتعاقب بثلاث مراحل نظرية مختلفة: المرحلة اللاهوتية أو الوهمية، المرحلة الميتافيزيقية أو المجردة، المرحلة العلمية أو الوضعية، وبكلمات أخرى، فإن الذات الإنسانية في طبيعتها، تستعمل بالتعاقب في كل واحدة من أبحاثها ثلاثة طرق للتفلسف، حيث صيغتها مختلفة جوهرياً ومتضادة جذرياً: أولاً المنهج اللاهوتي ثم الميتافيزيقي، وأخيرا المنهج الوضعي، ومن هنا ثلاثة أنواع من الفلسفة، أو المنظومات العامة للمفاهيم حول مجموعة المعارف الإنسانية، والتي تتباعد تبادلياً، الأولى هي نقطة البداية الضرورية للذكاء الإنساني الثالثة هي حالته الثابتة والنهائية، الثانية مخصصة فقط لمساعدة الانتقال.

المرحلة اللاهوتية: في هذه المرحلة تقود الذات الإنسانية أبحاثها جوهريا نحو الأسباب الأولى والنهائية، أي نحو المعارف المطلقة، حيث تتمثل الظواهر كنتائج بواسطة الفعل المباشر والمتصل بعوامل فوق طبيعية، والعقل الإنساني في هذه المرحلة يبحث عن أصول الظواهر وأسبابها النهائية محاوًلا تحليلها كنتيجة لفعل قوى خفية خارقة للطبيعة، ومن ثم غلب

الخيال والمشاعر على هذه المرحلة، وتنقسم المرحلة اللاهوتية بدورها إلى ثلاث فترات منفصلة وهي فترة الفتشية أوعبادة الأصنام؛ وهنا تعّرف الطبيعة في حدود مشاعر الإنسان وأحاسيسه، ثم فترة تعدد الآلهة أي الإيمان بآلهة وقوى روحية متعددة، ثم أخيرا فترة الوحدانية الإلهية أي الاعتقاد بوجود إله واحد، واليقظة التدريجية للعقل والفكر البشري بما يحتويه من قيود على الخيال، والخيال والشعور هما محركا البحث عن الحقائق في المرحلتين الأوليتين للفلسفة اللاهوتية، وفي مرحلة الوحدانية يظهر الفكر التحليلي والنقدي اللذان يحضران للمرحلة اللاحقة، ويلاحظ أن طبيعة التنظيم الاجتماعي السائد خلال المرحلة اللاهوتية هو تنظيم عسكري فالقوة العسكرية هي التي تحقق الاستقرار الاجتماعي .

المرحلة الميتافيزيقية: إن التبريرات التي تصاحب تقديم المرحلة الثانية تنتمي بدقة إلى نفس متطلبات الاتصالية، فالذهن الإنساني لا يعمل بواسطة تحويل جذري لمرحلته الأولى نحو مرحلته النهائية، بل بواسطة تحويلات متدرجة، فمن الواضح أنه عندما يتكلم "كونت" عن ثورة للذهن الإنساني، يجب أن يفهم هذا الحد بالاستناد إلى أنموذج طبيعي لثورة فلكية، كانتقال بطيء وتقدمي بدلا من ثورة سياسية، فالعقل الإنساني مضطر إلى السير ببطء درجة فدرجة، لا يستطيع أن يمر بطريقة فجائية ودون وساطة من الفلسفة اللاهوتية إلى الفلسفة الوضعية. إن المفاهيم الميتافيزيقية هي التي تملأ هذا الدور الوسيط، إن محتوى هذه المفاهيم محدد تمامًا بواسطة الوظيفة المؤقتة التي تضطلع بأعبائها، كتوسطات فهي ملتبسة كذلك، والذكاء الإنساني كان عليه أن يستعمل مفاهيم وسيطة، لها صفة هجينة مختصة لذلك لكي تقوم بالنقلة تدريجياً، فالذات عندما تصبح ميتافيزيقية، لا لمرحل تكون أبداً في اللاهوتية، ولا كذلك في المرحلة الوضعية، ففي المرحلة الميتافيزيقية، التي ليست سوى تغّير بسيط عام للمرحلة الأولى فإن المحرضات فوق/طبيعية تستبدل بقوى مجردة.

المرحلة الوضعية: إن الذهن الإنساني في المرحلة الوضعية الذي يتعرف على استحالة الحصول على مفاهيم مطلقة، يتراجع عن البحث عن الأصل وعن مصير العالم، ومعرفة الأسباب الخاصة للظواهر، وذلك للمثابرة فقط على الاكتشاف بواسطة الاستعمال المدمج تماماً للبرهان والملاحظة، عن قوانينها الفاعلة، أي عن علاقاتها الثابتة للتعاقب وللتشابه، إن الميزة الأساسية للفلسفة الوضعية هي ملاحظة كل الظواهر وهي خاضعة لقوانين طبيعية ثابتة، حيث الاكتشاف الدقيق والاختزال إلى أقل عدد ممكن هو الهدف لكل جهودنا، وذلك باعتبار أن البحث عن الأسباب الأولى والنهائية هو فارغ من أي معنى ولا يمكن الوصول إليها على الإطلاق، وهكذا فالذات العارفة تعاد إلى حدود التجربة، وهذا لا يعني أن تكون خاضعة لها وبتراجعه عن تفسير الظواهر بواسطة علل مطلقة، من خارج التجربة، فهو يحاول تحديدها بواسطة قوانينها... ومن هنا فالعقلنة لا توجد أبداً وارء التجربة، بل تتطابق مع الأشكال الداخلية لتنظيمها ليس الغرض هنا عرض الأسباب المكّونة للظواهر، بل الهدف هو التحليل الدقيق لظروف إنتاجها، ومقارنة الواحدة مع الأخرى بواسطة علاقات متطابقة من التعاقب والتشابه. .

يتجه العلم الوضعي نحو البحث عن القوانين التي تحكم وقوع الظواهر، تلك التي لا تزيد عن كونها قضايا تتعلق بالارتباط بين الوقائع، والنظرية في نظر "كونت" تعتمد على الوقائع الملاحظة، وكذلك الوقائع لا يمكن ملاحظتها من غير توجيه نظري، ومن غير هذا التوجيه، تصبح الوقائع مبهمة وعقيمة، بل ويتعذر علينا إدراكها، فالروح الوضعية الحقة إنما تنهض أساساً على البحث من أجل التنبؤ، والتنبؤ في جوهره هو معرفة الوقائع بطريقة غير مباشرة، وذلك من خلال علاقتها المباشرة بوقائع أخرى معروفة، وهكذا يصل "كونت" إلى قاعدة محورية وهي من العلم يأتي التنبؤ، ومن التنبؤ، يأتي العمل. .

ذهب "كونت" إلى أن نمو كل علم خضع إلى المراحل الثلاث، ويبدو ذلك على أنه تنظيم ضروري لمعرفة البحث الإنساني وهكذا، يبدو ضرورياً ترتيب تسلسل العلوم في ضوء تطورها التاريخي، وفي ضوء الاعتماد المتبادل بعضها على بعض، ذلك أن كل علم يرتكز على العلم السابق عليه، ويمهد الطريق للعلم الذي يأتي بعده، وكذلك درجة العمومية، ودرجة التعقيد، ومدى قدرة كل علم على تعديل الوقائع التي تناولها، وعلى أساس هذه المعايير حّدد "كونت" ترتيبه للعلوم وفق

تسلسلها على النحو التالي: الرياضة، والفلك، والكيمياء، والفيزياء، والبيولوجيا وعلم الاجتماع. .

يظهر العلم لكي يحقق هدفاً معيناً، وهو تفسير طائفة من الوقائع واكتشاف القوانين التي تحكمها، ومن ثم يمكن ترتيب العلوم بطريقة منظمة وفقاً لمنطق ظهورها، وكل علم له استقلالية في تطوير المناهج الملائمة لدراسة موضوعه الخاص.

جدير بالذكر أن "كونت" لم يزعم بأن هذا التسلسل للعلوم نهائي أو مطلق، وانما هو يعتقد أنه ربما يكون مفيداً ومقنعاً من حيث قدرته على تنظيم المعرفة العلمية واتاحة الفرصة لإجراء الاستنتاجات والاستخلاصات الممكنة بين العلوم. وكذلك أكد "كونت" أن دراسة الإنسان والمجتمع التي هي موضوع علم الاجتماع هي أكثر الد ارسات تعقيداً وتشابكاً.

إذن يشغل علم الاجتماع قمة النسق التسلسلي للعلوم، وذلك لأنه يعتمد على هذه العلوم جميعاً في تكوين رؤية متكاملة للحياة الاجتماعية، وظهور علم الاجتماع هو الذي يكمل ويتمم سلسلة العلوم، لأنه سوف يغطي النقص الذي عانت منه المعرفة العلمية كثيرا، والذي تمثل في انعدام وجود فيزياء اجتماعية

3_ علم الاجتماع المعرفة عند ماكس فيبر (1864-1920)

تأتي أهمية مساهمة "ماكس فيبر" في علم الاجتماع المعرفة من خلال تأكيده على دور القيم في انتاج المعرفة، ويتضح ذلك في كتابه "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية" الذي أراد من خلاله توضح الدور الذي تؤديه القيم في فهك الوقائع التي يعيشه أفراد المجتمع، وفي تكوين المعارف التي تنشأ عن هذا الفهم، فهم يستمدون من القيم الراسخة في وعيهم مبادئ أخلقية وعملية يسعون إلى تطبيقها في حياتهم اليومية، وتأتي أهمية الكتاب المشار إليه في تتبعه لما قامت به الأخلاق البروتستانتية من دور في تدعيم الاتجاه نحو بناء الرأسمالية والمجتمع الرأسمالي في الغرب، غير أن ذلك لا يعني أن القيم هي التي توجه مباشرة التراكم الرأسمالي، إنما يراد منه القول بأن ما نتج عن هذه القيم من أفكار وتصورات وممارسات حياتية كان لها دور أساسي في عملية التراكم الرأسمالي المشار إليه.

ويدعو "ماكس فيبر" إلى ما يسمى بالمنهج التأويل الذي يريد من خلاله فهم الظواهر والاحداث من خلا عملية التعقل أو الفهم الذي يعد بالنسبة إليه الاسلوب الوحيد الذي يساعد الباحثين على فهم السلوك، وتأسيسا على ذلك يدعو الى علم اجتماع قائم على الفهم، مع الإقرار بأن العوامل المؤثرة في تكوين الظاهرة الواحدة هي غالبا متعددة، ولكن لا يمكن اعتبار أي منها بمثابة العامل الوحيد الذي يؤثر في العوامل الأخرى.

ويعتمد المنهج التأويلي في دراسة الظواهر الاجتماعية على مبدأ دراستها من خلال فهم المعاني والدلالات التي تحملها هذه الظواهر في وعي الفاعلين الاجتماعيين، ذلك أن البنى والتشكيلات الاجتماعية التي يرصدها علماء الاجتماع إنما هي نتاج لما يحدث من تفاعل اجتماعي بين هؤلاء الفاعلين، وكأن "ماكس فيبر" يريد القول بأن وعي أفراد المجتمع ومشاعرهم وأحاسيسهم هو الذي يحدد أشكال وجودهم الاجتماعي.

ويذهب "ماكس فيبر" إلى تعريف الفعل الاجتماعي بأنه سلوك إنساني ظاهر ومسمر، ويمنحه الفاعل معنى ذاتيا، والسلوك الذي يخلو من من المعنى لا يمكن النظر إليه على أنه موضوع للبحث يف علم الاجتماع، لأن كل سلوك هو من حيث النتيجة يتجه نحو تحقيق هدف معين في ضوء قاعدة سلوكية يقرها المجتمع، ويقر الوسائل المشروعة لتحقيقها، ويميز "فيبر" بين أربعة أنواع من الفعل الاجتماعي، هي الفعل العقلاني و الفعل العقلاني العاطفي، والفعل العاطفي، والفعل التقليدي.

وبناء على هذه التصورات يشكل مفهوم الفعل الاجتماعي بالنسبة إلى "فيبر" الركيزة الأساسية لعلم الاجتماع، فكل الناطات والفعاليات التي يقوم به أفراد المجتمع إنما تأخذ شكل الفعل الذي ينطوي في ثناياه على معاني واضحة في وعي

الفاعلين، بالإضافة إلى ما حمله من أهداف وغايات، ما تركز عبه من مبادئ وقيم واتجاهات، فكل ممارسة يقوم بها الفرد، وكل فعل يصدر عنه، إنما يحمل في وعي الفاعل معنى ما، وقيمة محددة، ولكل الفاعلين اتجاهات محددة نحو الأفعال التي يقومون بها، ويمكن أن تكون إيجابية ويمكن أن تكون سلبية أيضا، وعلى الرغم من أن هذه المعاني والاتجاهات والمشاعر لا تخرج عما ألفه الفرد في مجتمعه، ولا تنفصل عن العادا والتقاليد السائدة، ولا حتى عن الصراعات الاجتماعية، لكن ذلك لا يحول دون ضرورة فهم العالم الداخلي للفعل الانساني، وما يتميز به من خصائص وأبعاد.

4_ علم الاجتماع المعرفة عند ماكس شيللر (1874-1928)

1.4_ مداخل شيللر لدراسة علم اجتماع المعرفة:

_ التأكيد على الطابع الاجتماعي لكل أشكال الفكر، والحدس، والمعرفة.

_ لا يوجد اشكال ملقة ودائمة للاستدلال من الناحية التاريخية.

_ الكشف عنتطور المعرفة يكون من خلال تتبع مراحل التاريخ البشري.

_ قهر كل أشكال التصوف والمذاهي الاعتقادية الكنسية الظلامية، وتمهيد الطريق لتفكير ميتافيزيقي حقيقي.

_ تحديد عوامل العلية التاريخية.

_ الاشكال التقنية للانتاج موازية لاشكال الفكر.

2.4_ أشكال المعرفة عند شيللر:

يرى أن المعرفة تتشكل عبر المراحل التاريخية الكبرى، وتختلف باختلاف الشعوب والاحتكاك الثقافي، وعليه فإن تغير القيم يكون بطيئا، وقد قسم المعرفة إلى سبعة أشكال هي:

_ معرفة الأساطير والخرافات. المعرفة الفلكلورية. المعرفة الدينية. المعرفة الصوفية. المعرفة الفلسفية. المعرفة الوضعية في العلوم الرياضية والطبيعية. المعرف التكنولوجية.

3.4_ تصورات شيللر للمعرفة.

_ المعرفة الخلاصية: تنتمي الى مجتمع الكنيسة، حيث الأشياء الجديرة بالمعرفة تؤدي إلى الخلاص، أما ما عداها أمور تافهة غير جديرة بالمعرفة.

_ المعرفة الثقافية: هي معرفة العدل والحق والجمال، لا تتحيز الى منظورات فردية، وتعلو على كل الظروف التاريخية والاجتماعية.

_ المعرفة العلمية: تستخدم لأغراض علمية، تؤدي لمعالجة الأشياء وظبطها، كالنعرفة التكنولوجية.

4.4 انتقادات شيللر لماركس وكونت:

_ عاب شيللر على ماركس ان تتناول كل العلاقات الانسانية من منظور اقتصادي نفعي بحت.

_ عاب شيللر على كونت قانون المراحل الثلاث، الذي جعل فيه العلم مقتصرا على المرحلة الاخيرة (الوضعية)، في حين اعتبر شيللر أن للمعرفة جذورا في الميتافيزيقا والدين.

5.4_ المعرفة بين المثالية والواقعية:

حاول شيللر ربط المعرفة بالواقع الاجتماعي، فذهب الى أن المعرفة تستطيع ان تحددجوهر الاشياء، وكي تكون اكثر فعالية يجب ان ترتبط بمصلحة ما، حتى تكتسب قوة وتأثير غير مباشر، ورأى أن لعلم اجتماع المعرفة مفهومان رئيسيان لا ينفصلن عن بعضهما، هما (نفس الجماعة، وروح الجماعة)، وكلاهما يشيران الى التحول الثقافي.

- نفس الجماعة: يشير الى التحول الثقافي على مستوى اللاشعور، تشمل (العادات والتقاليد والاساطير والروايات)، وتنتقل بين الافراد بطريقة لا شعورية، وتغيرها يكون بطيئا.
- روح الجماعة: تبنى على نفس الجماعة، ولا تحدث تغيرات عميقة، وتعتمد في استمراريتها على المداومة والابداع، وتظهر هذه الروح عند القادة وجماعات النخبة، وتأثيرها يمارس من علو، أي يكون هابطا من أعلى لأسفل.

5_ علم الاجتماع المعرفة عند كارل مانهايم (1893-1947)

يعد كارل مانهايم الممثل الرسمي لعلم اجتماع المعرفة، لأنه بذل جهدا كبيرا في تحديد مجالاته، ومنهجه، وتأكيده على الطابع الاجتماعي للمعرفة، وقد عبر عن أفكاره تلك في كتابه (الأيديولوجيا واليوتوبيا)

تأثر مانهايم بالنظرية الماركسية، إلا أنه لم يكن ماركسيا خالصا، ومما يميزه عن غير أنه مزج بين أطروحات النظرية المركسية والنظريات الأخرى، فقد درس المضمون الجقيقي الكامن وراء كل عملية تاريخية، على اعتبار أنه لا يمكن مشاهدة الافكار دون التحقق من التاريخ، لذلك التاريخ عنده هو الذي يصنع الفكر والقيم، حيث يتميز عصر بنسق قيمي ثابت ، وقد اعتبر علم اجتماع المعرفة نظرية من جهة، وبحثا تاريخيا اجتماعيا من جهة اخرى، فهو نظرية عندما يحلل العلاقة بين المعرفة والوجود الاجتماعي، وبحث تاريخي اجتماعي عندما يتعقب أشكال المعرفة من خلال تطور الفكر الانساني.

بدأ مانهايم بسؤال رئيسي: كيف يؤدي الفكر وظيفته في الحياة والسياسة كأداة للعمل الاجتماعي؟ للاجابة على هذا السؤال انطلق من فرضية: "توجد أنماط فكرية لا يمكن أن تفهم فهما كافيا طالما ظلت أصولها الاجتماعية مجهولة أو غامضة.

1.5 مبادئ علم اجتماع المعرفة عند مانهايم:

_ علم اجتماع المعرفة ليس كالفلسفة: فالفلسفة تبدأ من دراسة الفرد الواحد وأفكاره، ثم تنتقل غلى البحث في القيم التجريدية، لكن علم اجتماع المعرفة يسعى الى فهم البيئة الاجتماعية في إطارها التاريخي الذي يعبر عن تطور الفكر، إذ يقول: "من الخطأأن نقول أن الفرد الواحد يفكر، بل الأصح أن نؤكد أن الفرد يساهم في جعل الفكر يتقدم على ما أوصله إليه الآخرون من قبله".

_ علم اجتماع المعرفة لا يفصل الفكر عن سياقه الاجتماعي الذي نشأ فيه.

_ العوامل الاجتماعية تساهم في تفسير هيمنة أنماط فكرية معينة في المجتمع دون غيرها.

_ التقسيم الطبقي في المجتمع يبين أن لكل طبقة اجتماعية نظام تفكير يختلف عن الطبقة الأخرى.

2.5_ اتجاهات علم اجتماع المعرفة عند مانهايم:

_ تأسيس نمط جديد في التاريخ الفكري يكون قادرا على تفسير تغيرات أفكار في ضوء التغيرات الاجتماعية والتاريخية.

_ النظر الى المشكلة الواحدة من زوايا مختلفة، الحصول على منهج دقيق من خلاله يمكن التمييز بين أساليب التفكير المختلفة، هذا المنهج يجمع بين (تحليل المعاني، والتشخيص، والوصف السوسيولوجي)، هدفه:

_ تحليل المعاني في مجالها الفكري، والعمل على إلغاء المفاهيم المختلطة بغيرها، ول يمكن التمييز فيما بينها، وتحل بدل منها أوصافا دقيقة لأساليب الفكر.

_ إتقان فن إعادة بناء التاريخ الاجتماعي، كي يرى الحقائق الاجتماعية ككل متكامل، وليس أجزاء مبعثرة ومعزولة عن بعضها البعض.

3.5 _ فروع علم الاجتماع المعرفة عند مانهايم:

يؤكد مانهايم أن علم اجتماع المعرفة له وجهان: الاول نظرية، والثاني منهج تارخي، أما الاول فبحث تجريبي قائم على الوصف والتحليل البنيوي للأساليب الاجتماعية التي تؤثر في الفكر، ويتحول علم الاجتماع المعرفة الى الوجه الثاني عندما يبحث في العلاقة المتبادلة بين الوضع الاجتماعي والفكر.

4.5_ انتقادات مانهايم للجهود الفكرية لمن سبقه:

_ رفض مانهايم نظرية المعرفة التقليدية، لآنها اقتصرت على ثنائية (الذات، والموضوع) واعتبر ذلك هو سبب عجزها، واقترح بديلا لذلك، الربط بين الفكر والمعرفة من جانب، والأوضاع التاريخية والثقافية من جانب آخر.

_ رفض مانهايم الربط الماركسي بين الطبقة والأيديولوجيا، واستبدل الطبقة بحركة التاريخ كمصدر للفكر، وأن الفكر لا يفهم في حدود الطبقة فقط، بل في إطار الظروف التاريخية والاجتماعية أيضا.

_ رفض مانهايم دعاوى الاتجاه الفينومينولوجي عند شيللر الذي يعالج القيم الاجتماعية في حدود القيم المطلقة، وكان بديله القول بنسبية المعرفة.

6_ علم الاجتماع المعرفة عند جورج غورفيتش (1894-1965).

يظهر ارتباط المعارف الانسانية بطبيعة البنى الاجتماعية الحاضنة لها من منظور "جورج غروفيتش" من خلال تحليله لمفهوم البنية الاجتماعية التي ينبغي أن تعمل على تطوير ذاتها من خلال تفاعله مع البيئة المحيطة به، ومع تطور البنية سرعان ما تأخذ المعارف الانسانية بالتطور أيضا تبعا لأشكال البنى ومستويات تطورها.

وتبدو المعارف الانسانية كما يراها "جورج غروفيتش" للوهلة الأولى من بين كل الأعمال الحضارية هي الأكثر انفكاعا عن الواقع، لأنها تعتمد بشكل أساس على الوعي الفردي، على الرغم من أن الدين والحياة الأخلاقية للناس والتربية، والفنون وغيرها، تقيم ارتباطات متينة مع الأطر الاجتماعية، كما ن الناس برأي "جورج غروفيتش" يكونون دائما صورا غير حقيقية

عن أنفسهم، مما يدفعه إلى القول بأن الأيديولوجيا إن هي من حيث النتيجة إلا الصورة الكاذبة التي يرسمها الناس عن أنفسهم.

والى جانب محاولة "جورج غروفيتش" لتصنيف المجتمعات، ويحاول أن يقيم تصنيفا للمعارف والعلوم، ويجد ذلك في سبعة أنواع أساسية ، مع احتمال ظهور أنواع أخرى في المستقبل، فالمعرفة كما يراها نتاج جدلي لأنماط الحياة الاجتماعية، ولما كانت الحياة الاجتماعية في تجديد مستمر، فمن المتوقع أن تظهر أنماط أخرى من التفكير أيضا، أما الأنواع السبعة من المعارف فيمكن توصيفها على النحو الاتي:

_ المعرفة الادراكية الخارجية، معرفة الآخر، معرفة الحس المشترك، معرفة الحس المشترك، المعرفة التقنية، المعرفة السياسية، المعرفة العلمية، المعرفة الفلسفية.

ويولي "جورج غروفيتش" اهتماما بالغا بمسألة العلاقة بين علم الاجتماع المعرفة ونظرية المعرفة، ويجد قاسما مشتركا بينهما، يتألف من الموضوعات التي يتناولها كل منهما بطريقة مختلفة، ولكنهما ينتهيان إلى التلاقي بينهما، ويمكن أن يثمر هذا التلاقي حدوث مساهمات متبادلة بين الطرفين (نظرية المعرفة، وعلم الاجتماع المعرفة)، وقد تأتي هذه المساهمات سلبية وإيجابية على حد سواء، ويمكن أن يؤدي التلاقي بينهما المشار إليه إلى تطور كل منهما في وقت واحد.

ويظهر التعاون المثمر بين علم الاجتماع المعرفة ونظرية المعرفة حسب "جورج غروفيتش" في مظهرين أساسيين، يتجلى الأول في إمكانية مساهمة نظرية المعرفة في تطوير نظرية المعرفة من حيث كونه كنزا من الأدوات الملموسة والتجارب المتراكمة التي يمكن وضعها تحت تصرف نظرية المعرفة، ومن خلال ما يطرحه الباحثون في علم الاجتماع المعرفة من مشكلات ينبغي على نظرية المعرفة معالجتمها وفهمها، وأخيرا من خلال ما يطرحه الباحثون في علم الاجتماع المعرفة من مشكلات ينبغي على نظرية المعرفة معالجتها وفهمها، وأخيرا من خلال ما يتوصل إليه من نتائج تساعد على تجاوز الحلول التقليدية للمسائل المعرفية والتوجه نحو فهم أعمق للدور في الأنماط الاجتماعية المختلفة.

ويشير "جورج غروفيتش" إلى مجموعة من الموضوعات التي ينبغي أن يهتم بها علم الاجتماع، والتي تأتي في مقدمتها الموضوعات دور المعرفة وممثليها في أنماط لمجتمعات وأشكالها المختلفة، وكل أشكال التعبير والتعميم كالفكر والأدب والدين، بلإضافة إلى الحالات الخاصة بالتباين بين الأطر الاجتماعية والمعارف المرتبطة بها، التي توجب البحث فيما يسمى بالسببية الجدلية التي تبين أن المعرفة نتاج للشروط الاجتماعية تارة، وفاعلة فيها تارة أخرى.

7_ علم الاجتماع المعرفة عند بير بورديو (1930-2002)

مارس "بيار بورديو" البحث الميداني في أكثر من عشرين وسطا وبيئة: فمن بيئة الفلاحين القبائليين في الجزائر إلى بيئته الأصلية الريفية في جبال البيرينيه إلى الأوساط" الحضارية الراقية" في باريس (وسط الأزياء العالية والموضة) مرورا بأوساط نقابات العمال وأرباب العمل والطلاب ونظام التعليم .

وقد كان بورديو غزير الإنتاج، وهو مؤلف لأكثر من 35كتابا و 400مقالة ظهرت في العديد من اللغات، إن العمل الواسع الذي أنتجه "بورديو" على امتداد ثلاثة عقود، قد أثبت نفسه بصفته واحدا من أشد المتون إبداعا وخصوبة في النظرية والبحث المتعلّقين بعلم الاجتماع لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، فبعد طور من الاختمار الطويل، تنامى تأثير هذا العمل بسرعة وامتّد على نحو تابع سواء عبر الميادين المعرفية: الأنثروبولوجيا وعلم اجتماع التربية إلى التاريخ، اللسانيات، علم السياسة، علم الجمال والدراسات الأدبية، أو عبر بلدان أوروبا الغربية والشرقية، البلدان الاسكندينافية،

أمريكا اللاتينية، آسيا والولايات المتحدة . .

يمثل عمل "بورديو" الموسوعي تحديا مضاعفا للتقسيمات الحالية التي يعرفها علم الاجتماع ولأنماط التفكير الرائجة فيه. ويتجلى هذا التحدي في كون ذلك العمل لا يحترم على الإطلاق، الحدود القائمة بين الميادين المعرفية، وفي التنّوع المدهش لمجالات البحث المتخصصة التي يعبرها، وأيضا في قدرته على حشد قائمة واسعة من أساليب العمل السوسيولوجي، من الوصف ذي النزوع التفصيلي إلى الاستدلالات النظرية والفلسفية الأشد تجريدا، مرورا بالنماذج الإحصائية .

كان أحد أهدافه دراسة الظواهر الرمزية ضمن منظور مادي وهذا ليس أمرا سهلا، ذلك أن الأشياء الثقافية مصنوعة أو مبنية تاريخيا ضد الاقتصاد والسياسة، ورأى "بورديو" أن مهمة علم الاجتماع تتمثل في إظهار البنيات الأشد خفاء الخاصة بمختلف الحقول الاجتماعية التي تكّون العالم الاجتماعي، وكذا في توضيح الآليات التي تنزع إلى ضمان إعادة إنتاج تلك البنيات أو تحويلها، إذ يتميز العالم الاجتماعي بأن البنيات التي تكّونه تعيش– إن جاز التعبير– حياة مزدوجة، فهي توجد مرتين: مرة في "موضوعية من الطراز الأّول" يقدمها توزيع الثروات المادية ووسائل امتلاك الخيرات والقيم النادرة على المستوى الاجتماعي، ومرة أخرى في "موضوعية من الطراز الثاني" على شكل أخاطيط ذهنية وجسدية تشتغل بوصفها قالبا رمزيا للنشاطات العملية، أي لسلوكات الفاعلين الاجتماعيين لأفكارهم، مشاعرهم وأحكامهم.

والواقع أن عالم الاجتماع عندما يتبنى مواضيع الحس المشترك والفكر العامي، أوالتفكير الشائع بهذه المواضيع، يفقد أسس مواجهة البداهة الشائعة التي تقول بأن لكل امرٍء أن يتكلم بشأن كل ما هو إنساني أو أن يحكم على أي خطاب يتناول هذا الإنساني حتى لو كان خطابا علميا... تتواطأ تحليلات "عالم الاجتماع" كليا، مع ثرثرة الحياة اليومية، أو عندما لا يتبقّى شيء يفصل بين خطاب المحلل وما يحلله من كلام، سوى ما يرسمه "المزدوجان" من حدود هشة.

إن لغة علم الاجتماع التي تلجأ دائما، حتى في صيغها الأشد إحكاما، إلى المفردات الشائعة المألوفة بعد أن تضبط دلالاتها وتدقق في معانيها والتي تصبح تبعا لذلك لغة ملتبسة تخرج عن إطار المختصين، تصبح قابلة للاستخدامات المخادعة، ولكن لما كانت الحدود في إطار علم الاجتماع بين المعارف الشائعة والعلم أشد غموضا وترددا مما عليه في علوم أخرى تأخذ ضرورة القطيعة الإبستمولوجية في هذا الإطار أهمية خاصة، ولئن كان الخطأ لا ينفك عن الشروط الاجتماعية التي تجعله واردا أو ربما مقضيا، فإن الإيمان الساذج بالتبشير المنهجي، هو فقط ما يجعل البعض يتغاضى عن طرح السؤال حول الشروط الاجتماعية التي توفر إمكانية أو ضرورة الانقطاع عن المعرفة الاجتماعية العفوية والإيديولوجية، والتي تجعل التنبه المنهجي بعدا مؤسسيا في متناول جماعة علماء الاجتماع.

ومن الدروس الإبستمولوجية التي استقيناها من علم الاجتماع المعرفة كما تصوره "بورديو" لدينا المحاولة الدؤوبة لإيقاظ الوعي العلمي في الذوات العارفة، وذلك بإرشادهم لضرورة إدراك مسألة أن موضوع البحث السوسيولوجي ليس مرادفا للمواضيع التي يقترحها ويهتم بها القائمون على تسيير المشكلات الاجتماعية، فالبحوث التي من المناسب أن ينجزها عالم الاجتماع لا يجب أن تفرض عليه من قبل المؤسسات الحكومية أو الجمعيات المدنية، ولا يجب أن تتبع من أحاسيس الأفراد أو أن تنحاز لبديهيات الحس المشترك، فككل معرفة علمية، يملك علم الاجتماع نظرياته وتصوراته ومناهجه: أطر البحث، الأدوات والإجراءات التي تكّون البنية المنطقية للمعرفة السوسيولوجية، ولكي تصير هكذا، فإن هذه الأخيرة ينبغي أن تتضمن أيضا بعدا تجريبيا هو ثمرة المواجهة بين أطروحات نظرية، وبين مدونة معطيات تتعلق بالحقل الاجتماعي المدروس، على أن "بورديو" الذي يقتفي في هذا خطوات "دوركايم" و"باشلار"، كل واحد في ميدانه الخاص، فإنه يلح على "الحذر الإبستمولوجي" الذي يجب الإبقاء عليه حيال باعة الوقائع (الوقائع لا تعرب عن نفسها كما يقول" بوانكاري") و"المعارف العفوية" للمقولات المشتركة وبالأخص في حالة علوم الإنسان التي هي على علاقة بـ "موضوع ناطق نقدم بعض

المبادئ المعرفية التي اقترحها "بورديو" لتطوير علم الاجتماع كحقل أكاديمي تعرض إلى أزمة اعتراف وأزمة شرعية علمية، نجمل هذه المبادئ في ما يلي:

أولا: أصالة المعرفة السوسيولوجية لدى "بورديو" تتمثل في عدم انضمامه إلى تيار نظري تقليدي، بل أسس لنظرية سوسيولوجية جديدة اعتمدت مبدئيا على إنجاز قراءات نقدية لمختلف المقاربات المقترحة والوصول إلى رؤية مغايرة تتجاوز التناقضات والمفارقات في هذه النظرية أو تلك .

ثانيا: قّدم "بورديو" انطلاقة جديدة لعلم الاجتماع بعد الأزمة التي عرفها، وهذا بعد القيام بمجهودات جبارة إما على مستوى كثافة البحوث الميدانية التي أنجزها في مختلف الأوساط الاجتماعية، أو على مستوى نظري صاغ فيه مفاهيم جديدة تماشت مع الحقبة الزمنية التي عاصرها، وأكثر من ذلك فقد عمل في الميدان لإعادة الاعتبار لعلم الاجتماع واعطائه مصداقية علمية من خلال القيام بمبادرات جريئة كإنشاء مجلات متخصصة، ودار نشر ملتزمة وكذا التأثير في علماء اجتماع أوروبا وأمريكا وأسيا .

ثالثا: أسهم "بورديو" في التقريب بين علم الاجتماع والتاريخ، فقد حث علماء الاجتماع على إدماج التاريخ في مقارباتهم، وقد اعتبر التضاد بين الماضي والحاضر كحكم اعتباطي وتعسفي، فالتاريخ مسجل في الأجساد على شكل تطّبع (هابيتوس)، ويتمظهر في هيئتين، هيئة موضوعية في الآلات، في الحركات في الكتب وفي النظريات؛ وفي هيئة مدمجة تتمثل في الاستعدادات، ويدعو المؤرخين لتبني منظور إنشائي (توليدي) .

رابعا: في بداية نشاطه العلمي ابتعد "بورديو" عن أي التزام فكر نضالي كما فعل سارتر، ففي اعتقاده على عالم الاجتماع أن يتفادى القيام بدور النبي، ولا يعتقد أّنه وجد لإيجاد الحلول لكل المشاكل الاجتماعية، فلا يجب أن يخضع عالم الاجتماع للضغوطات الخارجية والمواضيع المفروضة، كالانحراف، والإدمان، والرسوب المدرسي، والصراعات داخل المؤسسات ... الخ، إذا فرضت على عالم الاجتماع مواضيع البحث، فمن الممكن أن يقع في فخ إنتاج دراسات تضعه في صف المتخصص في المشاكل الاجتماعية، ومن ثم يؤدي دور يدخل ضمن رهانات الصراعات السياسية، فعلى عالم الاجتماع أن لا يدخل حلبة الصراعات السياسية والنزاعات الإيديولوجية، فيتفادى قبول الانضمام إلى استراتيجيات السيطرة المباشرة أو غير المباشرة .

خامسا: رغم الملاحظات السابقة إلا أن "بورديو" يؤكد على اعتبار أساسي مفاده أّن علم الاجتماع يمارس بشكل غير مباشر وظيفة سياسية بحيث يتحدد هدفه المحوري في محاولة الكشف عن أي نمط من أنماط السلطة وعن أي صيغة من صيغ الهيمنة وعن أي صورة من صور الاستغلال.